الفصل الخامس

الذكاء

الذكاء، حسب وضعه فى التخطيط العام لمكونات الشخصية، هو القدرة المعرفية الفطرية العامة . ومعنى ذلك أنه من صفات الشخصية العقلية الثابتة نسبياً ، والتى يولد بها الشخص وتبقى معه طول حياته فى حدود ما خلق به . وكون الذكاء قدرة عامة — أى تتوقف عليه جميع العمليات العقلية فى المستويات السابق ذكرها جميعها — يجعله ذا أهمية خاصة كدعامة من دعامات الشخصية ، فهو فى الواقع سلاح الشخصية فى التصرف والتكييف، والتحكم فى النزعات والدوافع الفطرية ، والتوفيق بينها وبين تقاليد البيئة ومقتضياتها ؛ وعلى قدر ما يكون لدى الشخص من ذكاء تكون قدرته على الاستفادة بما حوله من تسهيلات ، وقدرته على اختيار ما يصلح له من خبرات ، وتعلم ما ينبغى أن يتعلمه من ذلك المحيط الواسع الذى يكوّن مجال حياته . فالشخص الذكى يستطيع أن يدرك أهمية الاحتفاظ بصحته الجسمية ووقايتها من الأمراض ، ويستطيع أن يعمل على تهيئة الظروف الاجتماعية

المحيطة به بما يساعد على تحسين مستواه واستكمال نواحى النقص فى شخصيته . بينما الشخص الغبى لا يمكنه قصوره العقلى من هذا ، بل كثيراً ما يسوقه ضعفه العقلى إلى ما يحط من شأنه وما يزيد فى اختلال شخصيته وشذوذها .

ونظراً لأهمية هذا العامل الرئيسى أو القدرة العامة — لا فى حياة الأفراد وحدهم بل فى حياة الجماعات أيضاً — فقد وجهت العناية لقياس الذكاء فى أوائل القرن الحاضر ، فكثرت اختباراته وتنوعت ، وقام العلماء بتجربتها وتطبيقها فى ميادين كثيرة إلى أن وصلت اليوم لدرجة كبيرة من الإتقان ، بحيث يمكن الاعتماد عليها فى تمييز طبقات الذكاء المختلفة بكثير من التحديد ، خصوصاً فى حالات نقص الذكاء أو ارتفاع نسبته بدرجات كبيرة .

وتوجد بمصر الآن اختبارات صالحة للاستعمال وتم تطبيقها فعلا بنجاح كبير فى المحيط التعليمى[1] ، ويمكن متابعة الجهود لتصيير مئات الاختبارات المتنوعة فى القياس العقلى لمختلف الأفراد فى مراحل النمو المختلفة ، كما هو متبع الآن فى جميع البلاد الراقية حيث يوثق باختبارات الذكاء وقيمتها فى ميادين التوجيه التعليمي ، والتوجيه المهنى ، والاختيار فى فروع الجيش المختلفة ، وفى كل أمر نحتاج فيه إلى تقدير الشخصية من حيث الاستعداد العقلى .

---

(١) انظر كتاب قياس الذكاء للأستاذ اسماعيل القبانى بك .

ويهمنا هنا أن نعرف أنواع الشخصية من حيث الاختلاف في الذكاء ومبلغ تأثير ما لدى الأفراد من هذا الذكاء في تحديد مدى نجاحهم في الحياة . ولقد دلت البحوث الإحصائية على أن توزيع الذكاء في بني الإنسان يتبع بصفة عامة المنحنى الاعتيادي حيث نجد الأغلبية في وسط المنحنى من العاديين في الذكاء ، ثم يتدرج التوزيع على الجانبين إلى أن نجد أقلية من العباقرة في طرف ، وأقلية من ضعاف العقول في الطرف الآخر ، وبين هذين الطرفين نجد طبقات متدرجة لمستويات الذكاء المختلفة كما يتضح من التوزيع الآتي : —

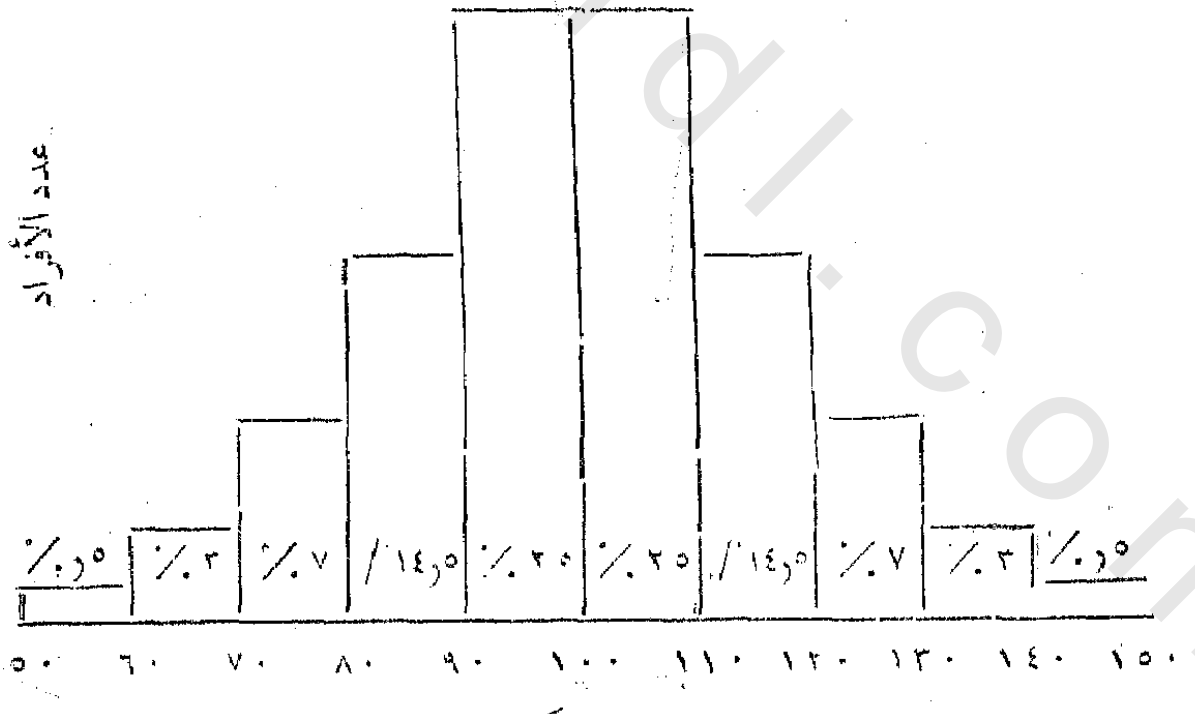

بيان توزيع الذكاء على ٣١٨٤ طفلا حسب نتائج أبحاث ترمان ومرل
(عن صفحة ٥٠٦ من كتاب : J. P. Guilford)

ويلاحظ أن التوزيع لا يصل إلى هذه الدرجة من التماثل إلا عند ما يكثر عدد الأفراد بحيث تمثل جميع الطبقات أصدق تمثيل ؛ ولما كان هذا يخضع لظروف الأبحاث واختيار العينات فقلما نجد تشابها تاما فى التوزيع فى نتائج العلماء المختلفين ؛ وبجانب ذلك يختلف العلماء فى اختيارهم لحدود طبقات الذكاء ومراتبه المختلفة ، ومدى اتساعها أو ضيقها ، وهذا يفسر الاختلاف بينهم فى نسبة عدد الأفراد فى أى طبقة من طبقات الذكاء كنسبة العباقرة أو متوسطى الذكاء أو ضعاف العقول .

وإلى القارىء أحد الجداول التى تبين نسبة توزيع الأفراد فى طبقات الذكاء المختلفة حسب رأى ترمان (L .M. Terman)

مراتب الذكاء	نسبة الذكاء	النسبة المئوية لعدد الأفراد
عبقرى أو قريب من العبقرية	١٤٠ فأكثر	٠ر٢٥
ذكى جداً	١٢٠ — ١٤٠	٦ر٧٥
فوق المتوسط أو ذكى	١١٠ — ١٢٠	١٣ر٠٠
عادى أو متوسط الذكاء	٩٠ — ١١٠	٦٠ر٠٠
أقل من المتوسط أو غبى	٨٠ — ٩٠	١٣ر٠٠
غبى جداً	٧٠ — ٨٠	٦ر٠٠
ضعيف العقل	أقل من ٧٠	١ر٠٠
مورون (عمر عقلى بين ٨ — ١٠ سنوات)	٥٠ — ٧٠	٠ر٧٥
آبله (عمر عقلى بين ٣ — ٧ سنوات)	٢٥ — ٥٠	٠ر١٩
معتوه (عمر عقلى سنتين فأقل)	أقل من ٢٥	٠ر٠٦

جدول طبقات الذكاء والنسبه المئوية لتوزيع الأفراد فى كل طبقة عن صفحة ٢٠٣ من كتاب :

Tiffin, Knight & Asher : The Psy. of Normal People.

شخصية العبقرى :

يمكن أن نلمس أثر عامل الذكاء فى تكوين الشخصية — بوضوح أكثر — بدراستنا لشخصية من وهبوا درجة عالية من الذكاء — أى العباقرة — من جهة ، ومن وهبوا كمية قليلة من الذكاء — وهم ضعاف العقول — من جهة أخرى .

ومن أهم الدراسات التى تفيدنا فى دراسة شخصية العبقرى تلك التى قام بها جولتون (Galton) والأبحاث التى قامت بها كاترين كوكس (Catharine Cox) فى تتبع تاريخ حياة مشاهير الرجال ، وكذلك البحث الذى قام به ترمان (Terman) لتتبع حياة ١٤٥٠ طفلا من أطفال المدارس الذين حصلوا على نسبة ذكاء تجعلهم فى مصاف العباقرة ، ذلك البحث الذى بدأه من عام ١٩٢٢ ، والذى لا زال يتتبع حالاته حتى الآن .

وقد أثبتت هذه البحوث عدم صحة الفكرة السائدة وهى أن الأشخاص الموهوبين وذوى العقليات الفذة يكونون عادة ضعيفى الجسم أو عصبيين أو غير ثابتين من الناحية المزاجية ، بل إن العكس هو الصحيح حيث تبين أن القوة والصحة الجسمية ، وكذلك الصفات المزاجية والخلقية — فى الأذكياء والعباقرة — تفوق تلك التى توجد فى الأغبياء وضعاف العقول ، كما أن نسبة الوفيات ونسبة من يصابون بالجنون ، ونسبة الطلاق فى المتزوجين — من الأذكياء والعباقرة — أقل منها فى العاديين وضعاف العقول .

ومن الثابت أن جميع من وصلوا إلى الشهرة والتفوق كانوا من بين من ظهرت عليهم علائم النبوغ والعبقرية فى طفولتهم ، ولكن العكس غير صحيح ، فليس كل من وهب الذكاء العالى يستطيع أن يصل إلى الشهرة ، بل إن بعض من أثبتوا ذكاء ممتازاً تضطرهم ظروف حياتهم الأخرى للاشتغال بأعمال بسيطة ومهن لا تحتاج لذكاء كبير كالأعمال الكتابية مثلا . ويرجع ذلك للاختلافات الفردية بين هؤلاء الأشخاص فى مكونات الشخصية الأخرى جسمية كانت أو مزاجية أو اجتماعية ، رغم تساويهم فى الذكاء العالى . ومن أمثلة ذلك عدم تساوى الفرص بين الرجال والنساء واضطرار السيدات للتفرغ للشئون الزوجية والمنزلية ، والانشغال عما يؤدى بهن إلى النبوغ والشهرة فى ميادين الحياة العامة ، ولهذا يعزى نقص عدد المشاهير من النساء فى الأدب والشعر أو القانون والطب والعلوم ، فذلك راجع لعدم توافر الفرص لا لعدم وجود المواهب .

ومن هنا يتبين تداخل مكونات الشخصية وأثر تفاعلها بعضها مع بعض فى التأثير على مستقبل الشخص . . وقد وجد «ترمان» أنه برغم تساوى أفراد مجموعته فى مستوى الذكاء العالى فإن النجاح فى الحياة الزوجية مثلا يختلف بينهم بحسب الاختلاف فى التكوين المزاجى والانفعالية العامة والعادات الخلقية ، وأن

الاختلاف فى درجة الشعور بالسعادة الزوجية يتمشى مع الصحة النفسية وتكامل الشخصية فى جميع عناصرها .

وهناك عوامل أخرى لازمة للشهرة والنبوغ والتفوق بجانب عامل الذكاء ، فالعباقرة المشهورون من أمثال : جولتون ونسبة ذكائه (٢٠٠) و بسكال (١٨٠) وفولتير (١٧٠) وموزارت (١٥٠) ونابليون (١٣٥) ، كانوا يتصفون بجانب الذكاء الحاد بالمثابرة ، ووجود الدافع لبذل الجهد ، ووجود الثقة بالمقدرة وقوة الخلق . .

ويؤيد ذلك الأبحاث التى قام بها « ترمان » فى تقدير شخصية عدد كبير من مجموعته من العباقرة فى ١٤ صفة من صفات الشخصية إذ وجد أن أهم الصفات التى يتميز بها هؤلاء بحسب الترتيب هى : المثابرة ، والثقة بالنفس ، ووضوح الهدف ، والتحرر من الشعور بالنقص .

ولكن « ترمان » يقول أيضا أنه لا يصح أن نتجاهل عامل الفرصة (Chance) فى الشهرة والنبوغ ، إذ أن لكل نوع من أنواع التفوق والظهور ينبغى أن تتهيأ للفرد عوامل مرتبطة بالظروف الزمانية والمكانية التى خلق فيها . وهذا يوضح لنا بجلاء أثر عوامل البيئة فى تكوين الشخصية . والمثل على ذلك يتضح من حالة فرادى (Faraday) الذى ترك المدرسة وهو

فى سن الثالثة عشرة ، والذى اشتغل صبيا فى مصنع لتجليد الكتب بعد ذلك بعام واحد ، وكانت مصادفة قراءته لمقال عن الكهرباء — فى أحد الكتب التى أعطيت له ليجلدها — هى التى أثارت فى نفسه الميل للعلوم ؛ وحتى هذه المصادفة وحدها لم تكن لتكفى لولا أن هيأ الله له همفرى دافى (Humphrey Davy) قريبا منه ليمده بالمساعدة والإرشاد .

وتدل الدراسات السابقة على أنه مع وجود الذكاء العام بدرجة عالية عند العباقرة من مشاهير الرجال فإن بعضهم يتميز بقدرات خاصة أو مواهب تظهر فى نواح معينة ، ويتضح ذلك بشكل ظاهر فى الموسيقيين والفنانين والشعراء ؛ وتكون هذه الميول والمواهب الخاصة من القوة بحيث لا تقف أمامها الصعوبات والمعارضات . ففى أكثر من ٢٠ ٪ من الحالات كانت هناك محاولات للتدخل لتغيير مجرى الحياة أو الطريق الذى يريد أن يسلكه الموهوب وكان سبيلا إلى نبوغه ، ولكن قوة الدافع والرغبة فى إشباع القدرات الخاصة كان يضطر بعضهم أحيانا إلى التمسك والمقاومة لدرجة تؤدى بهم إلى الهروب أو العصيان ؛ ومن أمثلة ذلك قصة بسكال (Pascal) الذى كان فى سن ١١ يهوى العلوم الرياضية بشغف زائد لدرجة أن والده فكر فى أن

خير طريقة لمعاملته هي أن يحرمه من كتب الرياضة حتى يتقن اللاتينية والإغريقية . . ولكن بسكال تمكن سرا من أن يكون لنفسه نوعا خاصا من القواعد الهندسية أمكنه بواسطتها أن يدرس النظريات الإقليدية حتى نظرية ٣٢ .

ويرتبط بالنقطة السابقة تفسير علماء التحليل النفسى لبعض حالات الشهرة والنبوغ على أساس ما يحدث فى النفس من صراع بين الدوافع الحيوية حسب علاقة الطفل بآبائه وإخوته ومركزه فى الأسرة ، وكونه موضع الرضا أو موضع السخط ، وكونه مدللا أو محروما . ويذهب أنصار هذا الرأى إلى القول بأن شهرة الفرد وظهور نبوغه يتوقف على مبلغ ما فى نفسه من عنف فى هذا الصراع لدرجة يجعل بعضهم يرمى الكثيرين من عظماء التاريخ بالإصابة بأمراض نفسية أو عقلية كالوساوس المتسلطة أو جنون العظمة . ويقول « ترمان » أن هتلر (Hitler) من الأمثلة الواضحة على ذلك حيث أنه لا يرجع ظهوره وشهرته إلى قدرات أو مواهب خارقة ، وإنما يرجع ذلك إلى عوامل ذاتية وعقد نفسية أحدثت عنده من القلق والسخط والكراهية والنزعة العدوانية ما كان يعكسه على الغير بتصرفاته التى قادت إلى الحرب والدمار .

ومن النتائج التتبعية لأبناء عدد من العباقرة فى مجموعة « ترمان » تبين أن متوسط نسبة الذكاء فى هؤلاء الأطفال ١٢٧ أى أنها تقل عن متوسط نسبة ذكاء الآباء وهى ١٥٥ ، مما يدل على أن وراثة الذكاء ليس معناها أن يرث الطفل ذكاء أبويه بنفس الدرجة بل إن هناك دائما الميل المتوقع إلى التجانس والقرب من القيمة المتوسطة .

ومن النتائج المتصلة بهذا أن النسبة المئوية لضعاف العقول بين أبناء مجموعة « ترمان » للعباقرة كانت نصف النسبة المئوية لضعاف العقول فى المجتمع ، وأن نسبة الأولاد إلى البنات فى الجيل الجديد لهؤلاء كانت ١١١ إلى ١٠٠ .

ولعل من أهم ما يدل على أثر الذكاء فى الشخصية ما وجده « ترمان » أيضا من أن نسبة المشتغلين بأعمال مهنية راقية بين مجموعته ٥٠ ٪ ، كما أن ٣٠ ٪ آخرين يشتغلون فى أعمال محترمة متوسطة . ونسبة المشتغلين فى هاتين الطبقتين من المهن الراقية تبلغ ستة أضعاف النسبة المهنية فى حالة أفراد المجتمع العاديين .

ومما سبق يتبين أن نسبة الذكاء العالية من شأنها أن تساعد الشخصية على النجاح فى الحياة ، وأن عوامل الشخصية الأخرى تعمل جميعها كوحدة فى تسهيل سبل هذا النجاح .

شخصية ضعيف العقل :

الضعف العقلى — كما يتبين من دراستنا لتوزيع الذكاء — يكوّن المرتبة الدنيا من مراتب الذكاء . وقد رأينا أن من الممكن تقسيم الضعف العقلى نفسه إلى طبقات المورون والبله والعته ، وأن نسبة هؤلاء فى المجتمع تقدر بنحو ١٠/٠ من المجموع . ومعنى ذلك أنه يمكن القول بأن فى مصر الآن حوالى ٢٠٠ ألف من ضعاف العقول ، وهؤلاء يعيشون بيننا يتزاوجون ، ويشتركون فى الانتخابات ، ويدخلون المدارس ، وهكذا . وسنجد من دراستنا لشخصياتهم أنهم أيضا يكونون عنصرا هاما من عناصر الفساد والانحراف والشذوذ ، وعاملا من عوامل التأخر فى المجتمع المصرى .

والذى يهمنا فى هذا المقام أن نلمس مدى تأثير ما عندهم من نقص فى القدرة العقلية المعرفية العامة فى تكوين شخصياتهم التى تتصف بالقصور والتفكك .

وقد دلت الدراسات التى قام بها المهتمون بهذه الطائفة . أمثال بيرت (Burt) ، ولوس (Lewis) على أن الضعف العقلى يؤثر فى باقى مكونات الشخصية الأخرى بحيث يصحبه غالبا تأخر فى النمو الجسمى والانفعالى والخلقى .

ولهذا نجد أن الضعف العقلى يؤدى إلى عدم النجاح وانحلال الشخصية مهما تهيأت ظروف البيئة ، وكل ما يمكن عمله إزاء هؤلاء ، هو حمايتهم وحماية المجتمع منهم ، أما أن نخلق من ضعيف العقل شخصية ممتازة ، أو قائداً مثلا فأمر مستحيل .

ومن الصفات المعروفة عن ضعاف العقول ، أنهم يتأخرون فى النمو فى المشى والكلام وسرعة التعلم ، وأن فيهم ضعفا فى التوازن الحركى بحيث يبدو ذلك فى تعبيرهم بالكتابة أو الرسم إذا أريد تعليمهم ، كما أن أفكارهم ضئيلة ، وآراءهم سطحية ، وفهمهم بطىء جداً ، وليس لديهم القدرة على التحكم فى دوافعهم النفسية وانفعالاتهم الغريزية ، ويصعب عليهم الاختلاط بالعاديين لتباين الميول ، واختلاف العقلية ؛ ولهذا ينسحبون من أوساط العاديين والأذكياء ، ليتجمعوا بعضهم مع بعض حيث يترسبون على مر الزمن فى القرى الصغيرة والأحياء الفقيرة والكهوف ، وما أشبه ذلك . وهم لضعف ذكائهم يكونون غير قادرين على التصرف فى مشاكل حياتهم ؛ ولذا يفشلون فى حياتهم الزوجية ، ويشرد أطفالهم ؛ ولذا يسهل على ضعاف العقول الانسياق إلى إدمان المخدرات والمشروبات الروحية ليجدوا فى حالات إدمانهم ما يشعرهم بالسعادة والكفاية التى لا يحسونها فى حياتهم العادية إزاء عدم قدرتهم على تحمل المسؤلية . ومن السهل جداً قيادة

ضعاف العقول لضعف إرادتهم ؛ ولهذا نجد أن عدداً من أذكياء المجرمين يستغل هذه الطبقة فى تنفيذ جرائمهم ، خصوصاً وأن من الممكن استغلالهم بحيث لا يكسبون من ورائها إلا نصيباً ضئيلا ؛ وهم لضعف عقلهم لا يستطيعون التحايل على الهرب ، أو حبك الخطة قبل تنفيذ الجريمة ؛ ولذا يسهل وقوعهم فى أيدى العدالة التى يفر منها الكثير من الأذكياء ؛ وهذا يفسر لنا نسبة ضعاف العقول بين المجرمين ، حيث تقدر بحوالى ٨ ٪ فى حين أن نسبتهم العادية ١ ٪ بين أفراد المجتمع كله .

على أن الأنواع المنحطة من ضعاف العقول وهم المعتوهون تصل شخصيتهم إلى درجة كبيرة من الضعف ، بحيث لا يستطيعون المحافظة على أنفسهم من الأخطار الخارجية المادية البسيطة ، ولا يستطيعون القيام بأى عمل مهما كان سهلا ، ويحتاجون لرعاية كاملة كالبهائم والأطفال الصغار .

أما البلهاء فهم وإن لم يصل النقص العقلى عندهم إلى درجة العته إلا أنهم يكونون غير قادرين على مباشرة مصالحهم ، أو المساهمة بالعمل على كسب عيشهم ، ولا يمكن تعليمهم سوى كلمات بسيطة .

ولكن المورون — وهم أعلى مراتب الضعف العقلى —

فعلى الرغم من أن النقص العقلى عندهم لا يصل إلى درجة البله ، إلا أنهم مع ذلك يحتاجون إلى رعاية وإشراف لحمايتهم وحماية الغير منهم . وهم لا يستطيعون الاستفادة من التعليم فى المدارس العادية إطلاقا ، ولكن من الممكن أن يتعلموا فى مدارس خاصة (Special Schools) بعض الأعمال البسيطة التى تساعدهم على كسب العيش ؛ ولكنهم لا يمكنهم الاستقلال الذاتى حيث أن قدرتهم على التصرف محدودة ، وليس عندهم بعد نظر أو قدرة على تمييز الخطأ من الصواب . وهؤلاء هم الذين يكونون نسبة كبيرة بين المجرمين .

وإذا وجد بجانب الضعف العقلى نزعات إجرامية ، أو ميول انفعالية شاذة بحيث تطبع الشخصية بمظاهر الانحراف الخلقى ، ففى هذه الحالة تسمى هذه الطائفة ضعاف الخلق (Moral Defectives)

وقد يوجد مع الضعف العقلى مضاعفات أو نواح أخرى من الشذوذ كالضعف العقلى المصحوب بالصرع ، أو الضعف العقلى المصحوب بالصمم أو البكم ، وغير ذلك مما يزيد الحالة سوءاً .

وأحيانا تصحب الضعف العقلى تشوهات أو علامات ، أو وصمات جسمية ظاهرة ، ومن أمثلة ذلك : الضعف العقلى المصحوب بكبر الجمجمة (Hydrocephalic) وفى هذه الحالات

يكون حجم الرأس كبيراً ولكنه ممتلىء بالسائل المخي مع ضمور في نمو المخ ، وحالات صغر الجمجمة (Microcephalic) وهؤلاء تكون الجمجمة عندهم صغيرة بدرجة ملحوظة رغم نمو الوجه بالحجم الطبيعي ، وغالبا نجد مستوى قمة الرأس في هؤلاء لا يصل إلى أكثر من مستوى الأذنين ؛ وقد رأيت بعض هذه الحالات في مستعمرة لضعاف العقول بانجلترا حيث كان جلد الرأس مجعداً نظراً لصغر الجمجمة . ومن الحالات المتميزة أيضاً نوع الضعف العقلي المصحوب بقلة إفراز الغدة الدرقية ، والذي يؤدي إلى قصر القامة والقزمية (Cretinism) وهؤلاء يمكن تحسين ذكائهم لو أمكن ملاحظتهم مبكراً ، وهناك نوع آخر مشهور من ضعاف العقول وهم النوع المغولي (Mongolian type) وهؤلاء يشبهون المغوليين في شكل عيونهم ووجوم الوجه وغلظ اللسان وعدم القدرة على التعبير بالكلام ، وكثرة حركتهم بحيث لا يستقرون في مكان .

وهكذا رأينا أن الضعف العقلي و إن كان في الأصل عقلياً ومتصلا بالنواحي المعرفية من الشخصية إلا أن مكونات الشخصية الأخرى تتمشى بعضها مع بعض متأثرة بهذا الضعف حتى إنه يغلب أن تكون شخصية ضعيف العقل واضحا فيها الشذوذ

الجسمى والانفعالى والخلقى أيضاً مما يدل على وحدتها ووجود التفاعل المستمر بين مكوناتها .

الفروق الفردية فى الذكاء وأثرها فى الشخصية :

اتضح مما سبق أثر قوة الذكاء أو ضعفه فى تكوين الشخصية بدراستنا للطائفتين المتطرفتين وهما العباقرة وضعاف العقول . والآن نبحث فى مراتب الذكاء بصفة عامة لنرى كيف يؤثر الذكاء فى الشخصية كما يبدو فى مظاهر السلوك العامة فى الحياة الاجتماعية والتعليمية والمهنية .

يتميز الشخص الذكى باليقظة والقدرة على الملاحظة ، والوعى والحفظ وخصوبة الخيال ، ودوام تفاعل الأفكار والقدرة على الاستفادة بها ، كما يتميز بسرعة التصرف واللمح والاستبصار وبعد النظر ، والقدرة على نقد الذات ؛ بجانب القوة الحيوية أو الطاقة الفعالة التى توجد وراء الذكاء فتدفع بصاحبه دائما إلى الأمام .

أما الشخص الغبى فعلى النقيض من ذلك تماما ، ولذا نجد أن الغباء من عوامل تدهور الشخصية وفشلها فى الحياة وقابليتها للشذوذ الاجتماعى والخلقى ؛ ويمكن أن نجد أثر ذلك واضحاً فى الأمثلة الآتية : —

٢ — علاقة الذكاء بالإجرام .

٣ — علاقة الذكاء بالقابلية للتعلم .

٤ — علاقة الذكاء بالنجاح فى المهنة .

علاقة الذكاء بالإجرام :

تدل الإحصاءات التى تعمل فى محيط الانحراف والإجرام على أن احتمال انسياق الشخصية إلى الإجرام يتناسب تناسباً طردياً مع درجة الغباء أو عكسياً مع درجة الذكاء . ومن أمثلة ذلك النتائج التى وجدها مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الأحداث بالقاهرة ، حيث دلت نتائج قياس الذكاء لمجموعة مكونة من ٤١٨ طفلا من الحالات التى وردت إليه على ما يأتى : —

حالة الذكاء	النسبة المئوية
ذكى جداً	١,٥ ٪
فوق المتوسط	٥,٥ ٪
متوسط	٢٠,٢٥ ٪
أقل من المتوسط	٢٧,٠ ٪
غبى	٢٤,٥ ٪
ضعيف العقل	٢١,٢٥ ٪
المجموع	١٠٠ ٪

ورغم ما يحيط بمثل هذه الاحصائيات من عوامل تجعل نتائجها مرهونة بظروف القياس وصحة الاختبار وتحفظات أخرى خاصة ، إلا أنها على العموم متمشية مع النتائج التى نجدها عادة فى البلاد الأخرى والتى تؤيد أهمية عامل الذكاء فى الإجرام . ومن أمثلة ذلك ما قام به أحد الباحثين (أنظر Guilford صفحة ٥٤٤) بتقدير نسبة ذكاء مجموعة مكونه من ٤٦٩ طفلا من نزلاء الاصلاحيات بمقاطعة كاليفورنيا بأمريكا حيث وجد ما يأتى : —

نسبة الذكاء	النسبة المئوية
أقل من ٧٠	٢٣٫٧ ٪
من ٧٠ — ٩٠	٣٨٫٦ ٪
من ٩٠ — ١١٠	٢١٫٥ ٪
فوق ١١٠	٦٫٢ ٪
المجموع	١٠٠ ٪

كما وجد باحث آخر أن متوسط نسبة الذكاء لمجموعة أخرى مكونة من ٣٥٨٤ طفلا من الأطفال المنحرفين بين سن ٩ و ١٦ كانت ٨٢,٢ .

ويمكن أن نضاعف الأمثلة من الاحصائيات التى تؤيد

بوضوح أهمية عامل الذكاة وتأثيره فى الشخصية وعلاقة الغباء بالإجرام .

علاقة الذكاء بالقابلية للتعلم :

من التعاريف الهامة للذكاء تعريف كلفن (Colvin) بأنه « القدرة على التعلم » . ومعنى ذلك أن هناك تناسبا طرديا بين مالدى الفرد من ذكاء أو قدرة معرفية فطرية عامة وبين قدرته على التعلم ، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها حيث أن معامل الارتباط بين الذكاء والنجاح المدرسى بصفة عامة يزيد عن ٠,٧٤ مع مراعاة أن علاقة الذكاء بالنجاح فى المواد المختلفة تختلف من مادة إلى أخرى حسب ما تحتاجه المادة من قدرات أو مواهب خاصة بجانب الذكاء .

وتدل الأبحاث الكثيرة فى محيط النجاح والتأخر الدراسى على أن المستويات التعليمية المختلفة تحتاج إلى ما يناسبها من الذكاء . فالدراسة بالتعليم العالى مثلا تتطلب حدا أدنى من مستوى الذكاء بدونه لا يمكن للشخص أن يجتاز هذه المرحلة مهما بذل من جهد . ويرجع عدد كبير من حالات الفشل المدرسى إلى قصور الذكاء وضعف مستواه وعدم تناسبه مع المرحلة الدراسية التى بها التلميذ ، حيث يضيع سدى كثير مما يبذله

الآباء والمدرسون من المال والجهد والوقت فى تعليم هذه الحالات .

ويمكن أن نلمس هذا بوضوح إذا أمعنا النظر فى دراسة إحصائية بسيطة لعدد التلاميذ الذين يترسبون فى الفرق المدرسية المختلفة نظرا لعدم توافر الذكاء اللازم عندهم للتمكن من النجاح ، وسنجد أن هؤلاء عادة ممن تزيد أعمارهم عن المستوى العادى لفرقهم المدرسية .

ومن أمثلة ذلك أحد البحوث التى أجريت بإحدى المدارس الثانوية بالقاهرة ، والذى قام به الأستاذ أحمد زكى محمد عن العوامل التى تؤثر فى التحصيل المدرسي ، والذى نشرت نتائجه بمجلة التربية عدد يناير سنة ١٩٥٠ ، حيث وجدت النتائج الآتية : —

الفرقة	عدد الطالبات	النسبة المئوية لطبقة الذكاء			نسبة كبار السن	حدود السن الاعتيادى	
		أ ؟ س	حـ	د ؟ هـ		سنة	شهر
الثانية	١٦٩	٩ ٪	٥٥ ٪	٣٦ ٪	٤٤ ٪	١٥	٤
الثالثة	١٥٤	١٢ ٪	٦١ ٪	٢٧ ٪	٤٠ ٪	١٦	٥
الرابعة	١٤٢	١٢ ٪	٦٧ ٪	٢١ ٪	٤٠ ٪	١٧	٧
الخامسة	٥٨	٣٤٫٥ ٪	٥٨٫٥ ٪	٧ ٪	٢٦ ٪	١٨	٩
السادسة	٧٦	٣٧ ٪	٥٨ ٪	٥ ٪	٢١ ٪	٢٠	٠٠
المجموع	٥٩٧				المتوسط ٣٧ ٪		

ومن هـذه النتائج يتبين أن نسبة عدد التلاميذ الأذكياء تزداد كلما تقدمنا فى الفرق الدراسية ؛ وعلى العكس من ذلك نجد نسبة عدد التلاميذ من طبقات الذكاء التى تدل على الغباء تقل بشكل ظاهر فى الفرق المتقدمة . أى أن الأغبياء من التلاميذ يترسبون عادة فى الفرق المدرسية الأولى ولا يستطيعون الوصول إلى الفرق العالية إلا بصعوبة كبيرة .

ويلاحظ أيضا وجود نسبة كبيرة من كبار السن متمشية مع الغباء والرسوب ، مما يدل على مبلغ الضياع فى الوقت والمجهود مع هؤلاء .

ملاحظة :

أتيحت لى الفرصة لاستخلاص النتائج المتعلقة بكبار السن فى هـذا البحث — فى الحدود المذكورة — تحت إشراف الأستاذ (Burt) بجامعة لندن .

وفى انجلترا وأمريكا يعطى عامل الذكاء أهمية كبيرة فى السياسة التعليمية ، وتدل أبحاث التوجيه التعليمى على أن مراحل التعليم المختلفة تتطلب مستويات معينة من الذكاء ، ومن أمثلة ذلك النتائج التي وصل إليها كاتل (R. B. Cattell) فى انجلترا حيث وجد ما يأتى : —

نوع التعليم	المدى المتوسط لنسبة الذكاء
الدرجات الجامعية	١٣٠ — ١٦٠
الدبلومات والشهادات العليا	١٢٠ — ١٥٠
التعليم الثانوى	١١٠ — ١٤٥
« المتوسط	١٠٥ — ١٤٠
« الابتدائى (الفصول العليا)	١٠٠ — ١١٥
« « (الفصول المتوسطة)	٨٥ — ١٠٠
« « (الفصول المتأخرة)	٧٥ — ٨٥
الفصول الخاصة	٧٠ — ٧٥
مدارس ضعاف العقول (مورون)	٥٠ — ٦٥
مستعمرات ضعاف العقول	أقل من ٥٠

ويجب ألا يغيب عن الذهن أن هناك عوامل أخرى كثيرة تتدخل فى القدرة على النجاح المدرسى ، كالظروف الصحية والاجتماعية والصفات المزاجية والخلقية ؛ ولهذا يجوز أن نجد بين الراسبين من التلاميذ عددا ممن توافر عندهم القدر الكافى من الذكاء ، ولكن ظروفهم الأخرى هى التى تحول بينهم وبين النجاح . ولكن العكس غير صحيح ، إذ أن المفروض أن جميع من يستطيعون الوصول إلى المراحل الدراسية العليا بنجاح — وبطريقة طبيعية — يعتبرون ممن توافر لديهم القدر اللازم من الذكاء العام .

علاقة الذكاء بالنجاح المهنى :

ويمكن قياسا على ما سبق أن ندرك أحد الأسباب التى من أجلها يتوقف مدى نجاح الشخص فى مهنته . فقد دلت الاحصائيات فى محيط التوجيه المهنى على أن المهن الراقية تتطلب مستويات عالية من الذكاء ، وأن من الواجب أن ننصح ذوى المستوى المنخفض من الذكاء بعدم دخول هذه المهن وبأن يلجأوا إلى أنواع المهن الأخرى التى يصلحون لها ، والتى يفشل فيها غيرهم من الأذكياء .

وتعتنى البلاد الأجنبية بالتوجيه المهنى على أسس علمية سليمة . ومن أمثلة ذلك ما يقوم به المعهد الأهلى لعلم النفس الصناعى بلندن (National Institute of Industrial Psychology). حيث يفد إليه الكثيرون ممن يرغبون فى التوجيه للمهن المناسبة لهم ، فيقدم لهم النصح بعد دراسة حالاتهم بالاختبارات اللازمة .

وقد اقترح بيرت (Burt) — أثناء عمله بهذا المعهد — تصنيفا للمهن المختلفة وما تتطلبه من مستويات الذكاء كالآتى : —

نسبة الذكاء	المهن
فوق ١٥٠	الوظائف والمهن التى تحتاج إلى تخصص فنى كالطب والمحاماة والتدريس العالى وإدارة الشركات . . .
١٣٠ — ١٥٠	الوظائف والمهن الفنية كالمدرسين فى التعليم العام وموظفى البنوك وأطباء الأسنان والصحافيين . . .
١١٥ — ١٣٠	المهن والوظائف الكتابية الفنية كرجال التأمين ، وأصحاب المكتبات والتجار والصناع الفنيين كالكهربائى والمهندس الميكانيكى . . .
١٠٠ — ١١٥	المشتغلون بأعمال تحتاج لمهارات خاصة كعمال التليفون . وعمال المطابع . والصناع فى أعمال الخراطة والنجارة . . .
٨٥ — ١٠٠	المشتغلون بأعمال تحتاج إلى مهارة بسيطة كساعاة البريد . والنقاشين . وصناع الأحذية . . .
٧٠ — ٨٥	المشتغلون بأعمال آلية على نمط واحد كالبوابين والمشتغلين فى حزم البضائع وعمال الحفر والشيالين . . .
٥٠ — ٧٠	المشتغلون بأعمال بسيطة جداً تحت إشراف الغير . . .
أقل من ٥٠	لايمكنهم القيام بأى عمل ومكانهم مؤسسات ضعاف العقول

ومن المهم أن نؤكد أيضاً أن الذكاء ليس العامل الوحيد للنجاح المهنى ، ولكنه من العوامل الرئيسية ، ولا بد فى التوجيه المهنى أن يؤخذ بمجموعة العوامل كلها ، سواء كان منها ما يتصل بظروف الشخص الصحية أو المزاجية أو الاجتماعية ، أو ما يتصل بما قد يكون لدى الفرد من مواهب وميول وقدرات عقلية خاصة تساعده على النجاح فى مهن دون الأخرى .

من الأمثلة السابقة يتبين بوضوح كيف يلعب الذكاء دوره

فى تحديد فرص الحياة أمام صاحبه ، وكيف أن الشخصية كلها تتأثر بهذا العامل المعرفى العام من حيث مكانة الشخص الاجتماعية سواء كان ذلك من ناحية الانسجام مع المجتمع أو الانحراف والانسياق للإجرام ، أو من ناحية التعليم والثقافة ، أو أسلوب كسب الرزق وتذوق الحياة .

مراجع :

1. R. B. Cattell : General Psychology
2. J. P. Guilford : General Psychology
3. L. M. Terman : Psychological Approaches to the Biography of Genius.
4. National Association for Mental Health : Notes on Legislation Relating to Mental Defectives.
5. C. L. Burt & Others : A Study in Vocational Guidance.

obeikandl.com